" آداب زيارة البيوت في مصر الفرعونية "

د / شعبان السمنودي عبد القادر إسماعيل
مدرس التاريخ القديم
كلية اللغة العربية بأسيوط ـ قسم التاريخ والحضارة ـ جامعة الأزهر

اقتضت قواعد الأخلاق والسلوك التي تعارف عليها المصريون خلال العصر الفرعوني البعد عن الأفعال غير المقبولة لديهم ؛ ولذلك وضعوا العديد من الضوابط لآداب زيارة البيوت ، واحترام أصحابها ، واتباع السلوك المهذب وأصول التعامل مع أهلها ، وآداب المائدة وتناول الطعام لزائريها ، هذا إلى جانب حثهم على الامتناع عن بعض الأفعال أثناء زيارتها *ويمكن عرض هذه الآداب على النحو التالي :*

أولاً- البيوت المحظور زيارتها (سيئة السمعة)

نهى المصريون القدماء عن زيارة البيوت المريبة (المشكوك في سمعتها) ، والبعد عن دخول المنازل غير المعروفة السمعة ، وذلك حتى لا يكون الإنسان مجالاً للشك والظن من أحد .

حيث يقول الحكيم " آني " [1] لابنه " خونسو حتب " :

" لا تخرج من بيتك إلى بيت لا تعرفه ، واجعل كل بيت تحبه معروفاً حتى لا يرتاب أحد في سلوكك " [2] .

يحذر النص من خروج الإنسان من بيته متجهاً إلى زيارة أي بيت لا يعرف عن سمعة أهله شيئاً ، ويدعو إلى دخول البيوت المعروفة له تمام المعرفة ، حتى لا تثار حوله الشكوك ، فيصبح ذا سمعة سيئة بين الناس .

ثانياً- الأشخاص غير المرغوب في زيارتهم :

حددت تعاليم الحكماء الأشخاص المسموح باستضافتهم في البيوت ، فقد ورد في تعاليم " كاجمني"[3] ما يلي :

" كل البيوت تفتح أبوابها لغير المتكبرين ، ولصاحب اللسان المتواضع توجد حجرات عديدة " (4) .

حيث نهى النص عن استضافة الأشخاص الذين يتعاملون مع غيرهم بكبرياء ، أما الشخص المتواضع فله في أي بيت يقوم بزيارته أكثر من حجرة لاستقباله واستضافته .

وحذر الحكيم " أمنموبي " (5) من مصاحبة الرجل الأحمق ، واستضافته والترحيب به في المنازل ، أو حتى مجرد السلام عليه ، ونصح رب البيت بألا يكون غاضباً من هذا التصرف ، حيث قال :

" لا ترحب بالرجل الأحمق رغماً عنك ، ولا يكن قلبك حزيناً على هذا الفعل ، ولا تسلم عليه رياءً بينما يكون قلبك غير راضٍ عنه " (6) .

ففي النص إشارة واضحة إلى نبذ النفاق ، واعتباره سلوكاً سيئاً ، وفيه نصائح مباشرة بعدم مصادقة الأحمق أو استضافته ، لأنه متسرع ، حاد الطباع ، كثير الغضب ، ومليئ بالشر؛ ولذلك فمن الأفضل الابتعاد عنه تماماً .

مما يدل على انتقاء المصري القديم للأشخاص الذين كان يأتمنهم على بيته.

ثالثاً- الاستئذان قبل دخول البيوت

حرص المصريون خلال العصر الفرعوني على عدم زيارة أي بيت سواء أكان من ذوي القربى أم من غيرهم بدون إذن صريح من صاحبه ، حيث ورد في نصائح الحكيم " آني " ما يلي :

" لا تذهبن إلى بيت إنسان بحرية ، بل ادخله فقط عندما يؤذن لك بدخوله ، وحينما يقول هو لك (أي رب البيت) أهلاً بك بفمه(7) *، ولا تنظر باستغراب في بيته ، (ولكن) انظر والزم الصمت "* (8) .

يتضح من النص أن الأعراف والتقاليد التي كانت سائدة في المجتمع المصري القديم جعلت للبيوت حرمتها ، واعتبرت دخولها بغير إذن من أصحابها انتهاكاً لهذه الحرمة ، وتعدياً على أهلها في أن يكونوا آمنين داخل منازلهم ؛ ولذلك اشترط الدخول بالموافقة الصريحة من

رب المنزل ، وربما قصد من قوله : *" وحينما يقول هو لك (أي رب البيت) أهلاً بك بفمه "* : أي يكون متواجداً بنفسه أثناء الزيارة . كما يشير النص ـــ أيضاً ـــ إلى مطالبة الضيف بعدم النظر إلى الأشياء الموجودة في بيت غيره أثناء الزيارة ، وعدم الإكثار من الكلام ، والتزام الصمت ، مما يدل على مدى الالتزام الأخلاقي من جانب القدماء المصريين.

هذا وقد حث الحكماء على عدم الزيارة المفاجئة ، وبدون علم مسبق ، ومن يفعل ذلك فلن يلق استقبالاً حسناً ، كما نفر المجتمع المصري القديم من التطفل في زيارة منازل الآخرين ، فإذا فعل شخص هذا السلوك السيئ فسيكون في موضع سخرية من صاحب المنزل ، وربما يقوم باستضافته وإطعامه وإكرامه ، إلا أنه يفعل ذلك وهو مكرهاً عليه ، وغير راضٍ عنه ، حيث يقول الحكيم " آني " :

" لا تتطفل على إنسان في منزله ادخل عندما تُدعى إليه ، ربما يقول : (مرحباً) بفمه ، ولكنه يسخر منك في فكره ، قد يعطي الإنسان الطعام إلى من يكرهه ، وقد يكرم من يدخل دون دعوة إلى بيته " [9] .

ويقول أيضاً : *" لا تدخل منزلاً أجنبياً ما لم تكن مدعواً "* [10] .

رابعاً– آداب الحديث مع رب البيت أثناء انشغاله مع ضيف آخر

من العادات الحسنة الخاصة بآداب زيارة البيوت في مصر الفرعونية أنه إذا دخل شخص على رب المنزل ، وكان مشغولاً مع ضيف آخر حضر من قبله ، فمن السلوك السليم أن يجلس ولا يتحدث معه في أي شيء حتى يفرغ من حديثه مع الشخص الذي جاء أولاً ، وذلك بدون استياء ، أو التلفظ بكلمات خافتة في نفسه ، أو بكلمات غير لائقة منافية للذوق . مما يدل على الرقي الرفيع في التعامل بين أفراد المجتمع المصري القديم .

حيث يشير " خيتي بن دواوف "[11] في تعاليمه لابنه " بي " بخصوص هذا الشأن ما يلي :

" إذا دخلت على رب البيت وكان في منزله مشغولاً بشخص حضر من قبلك ، فاجلس ولا تطلب شيئاً ، ولا تتحدث بكلمات خفية (غامضة) ، ولا تجعل الكلمات النابية تخرج من فمك [12]*[13] ، فالزم الصمت ولا تقل كلمة ، ولا تسأل*

عـــــــــن قضية إلا إذا وجه لك أمـــــــــــــره " [14] .

خامساً- عدم مخالطة النساء في أثناء الزيارة

اعتبر المجتمع المصري خلال العصر الفرعوني عملية اختلاط الرجال بالنساء أثنـــاء الزيـــارة بدون صلة شرعية أمراً مرفوضاً ، ورأى في ذلك تعدياً على شرف صاحب البيت وكرامته ، حيث أن دخول الرجال زائرين للبيوت واختلاطهم بالنساء اللاتي لم يكن من محارمهم أو زوجاتهم فيه تشويه لسمعة رب المنزل وأهله ، وقد كان هذا الأمر نافذاً علـــى الضـــيف والنساء الموجودات في المنزل على حد سواء .

فقد حذر الحكيم " بتاح حتب " [15] من ذلك قائلاً :

" إذا أردت توثيق الروابط (تحافظ على الصداقة) في أي بيت تدخله ، سواءً أكان منـــزل عظيم أو أخ أو صديق ، فاحذر مخالطة النساء (القرب من النساء) ، فما طـــاب مكـــان حللن فيه ، كما يُحظر على أي إنسان أن يتلصص عليهن (ينظر إليهن أو يجلس معهـــن) [16] *، ومن الحكمة أن تجنب نفسك مواطن الشطط والزلل ، ولا توردها التهلكة ، فـــإن آلافاً من الرجال أهلكوا أنفسهم وعملوا على حتفهم من أجل تمتعهم بلذة عارضة تذهب كحلم في لمح البصر . إن الرجال ليفتنون بأعضائهن البراقة ، ولكنها سرعان ما تصبح بعد ذلك مثل أحجار " هرست"* [17]*، والموت يأتي في النهاية "* [18] .

يتبين من النص أن تقوية العلاقات بين أفراد المجتمع تتوقف بدرجة كبيرة على البعـــد عـــن النساء ، وغض البصر خلال زيارة البيوت أياً كانت ، سواء البيوت الخاصة بـــالأخوة أو الأصدقاء أو غيرهم ، لأن المكان اللاتي يتواجدن فيه منفردات بالرجـــال ملـــئ بالفتنـــة ؛ ولذلك تم التحذير من مخالطتهن أو النظر إليهن ، كما يشير النص ـــــ أيضـــاً ـــــــ إلى جوهر هذا الأمر بأنه لا فائدة منه على الإطلاق ، لأن الجسد الذي تراه الآن جميلاً سوف يتحول فيما بعد إلى هباءً ، والرغبة فيه قصيرة ، وستمضي كأنها حلم ، ثم يحل المـــوت في النهاية ، ويحيق بالإنسان الندم . وبهذا تتضح القيمة العظيمة التي تؤدي إليها احترام بيـــوت الآخرين ، والمحافظة على سمعتها ، والحرص على محارمهم ، مما يؤدي إلى انتشـــار الحـــب والترابط بين أفراد المجتمع الواحد .

ويقول الحكيم " أمنموبي " لابنه " حور ماخر " في هذا الشأن أيضاً :

" لا تظهر رغبة في بيوت الآخرين" [19] .

ومن أجل المحافظة على عدم الاختلاط كانت المنازل المصرية خلال العصر الفرعوني تحتوي على حجرات وقاعات استقبال خاصة بالضيوف (الزائرين) [20] ، وهو ما يشبه المندرة أو المضيفة في البيوت الحديثة ؛ وذلك لتأمين العزلة الكاملة إن أريد ذلك [21] . وغالباً ما استقلت غرف النساء والمعيشة في البيوت الكبيرة بطابق خاص ، أو جناح منفرد بعيداً عن غرف الضيوف ، وعن أماكن إقامة الأتباع [22] .

سادساً- عدم إفشاء الضيف لأسرار البيوت

حث المجتمع المصري خلال العصر الفرعوني الضيف على المحافظة على أسرار البيوت ، واعتبر مخالفة ذلك جريمة كبرى وخيانة للأمانة ؛ لذا استحق فاعلها عقوبة الإعدام . دل على ذلك ما ذكره الحكيم " آني " في تعاليمه حيث يقول :

" لا تدخلن بيت غيرك ... ولا تمعنن في النظر إلى الشيء المنتقد في بيته إذ يمكن لعينك أن تراه ، ولكن الزم الصمت ، ولا تتحدثن عنه في الخارج إلى ذلك الذي لم يكن معك ، حتى لا تصبح جريمة كبرى تستحق الإعدام عندما تسمع [23] *، واحترس من أن تكشف أسراراً ، وإن قالها رجل في بيتك فتظاهر بالصمم* [24] .

وبذلك نهت تقاليد وعادات المصريين القدماء الضيف عن الدخول لأي بيت دون استئذان ، والنظر إلى ما هو منتقد ومعيب في بيوت الآخرين ، فإذا رأى شيء من ذلك يجب عليه أن يلتزم الصمت ، وألا يبيح بما رآه لأي شخص في الخارج ، كما تحروا الدقة في التأكيد على حرمة كشف أسرار البيوت ، حيث أنه لم يقتصر الأمر على نهي الزائر (الضيف) عن هذا السلوك الذي يرفضه المجتمع ، بل تعداه إلى ما هو أبعد من ذلك حينما حثوا على عدم سماع أسرار الآخرين ، حتى وإن تحدث بها شخص في بيتك فلا بد من عدم الاهتمام بما يقول ، والتظاهر أمامه بعدم الاستماع ، حتى يكون ذلك رادعاً له فيكف عن هذا الأمر ؛ لأنهم اعتبروا ذلك استباحة لحرمة البيوت التي أحسنت استضافته ، وجرم عظيم يستحق عليه أقصى عقوبة وهي الإعدام إذا ثبت عليه القيام به ، لأنه أخل بآداب الزيارة التي

تعارف عليها المجتمع ، واعتبرها واجباً يتحتم الالتزام به من كل أفراده .

ويقول " خيتي بن دواوف " في هذا الأمر :

" عندما تدخل منزل إنسان ... كن رزيناً ونبيلاً ، ولا تفشي الأسرار ، من كتم سره حمى نفسه [25] .

ويحذر " أمنموبي " من هذا السلوك السيئ ، ويحث على الالتزام بالأمانة ، والمحافظة على أسرار البيوت فيقول :

" لا تصغ إلى أجوبة شريف في بيته ، ثم تنشرها إلى آخر في الخارج ، ولا تجعل كلامك يذاع في الخارج حتى لا يتألم قلبك ، وقلب الرجل (أي ضميره) هو منقار الإله "جحوتي" (تحوت) [26] ، *فاحذر أن تهمله* [27] .

ويقول أيضاً [28] :

" إياك أن تهتك ستر رجل في أمر حقير" .

" لا تخالط رجلاً خائناً " .

حذر النص في لهجة شديدة من هتك ستر أي شخص حتى وإن كان هذا السر بسيط للغاية ، كما أشار إلى حرص المصري القديم على عدم مصادقة الرجل الخائن ، وحث على عدم مخالطته والقرب منه ، ومنعه من التردد على البيوت ، لأنه لا يؤتمن على أسرارها .

وأورد هنا كلمة " منقار" ، لأن طائر أبي منجل بمنقاره الطويل كان هو الرمز الأول للإله " جحوتي " .

سابعاً- آداب المائدة وتناول الطعام أثناء الزيارة

كان السلوك المتبع والمحبب في المجتمع المصري خلال العصر الفرعوني هو الاعتدال في مختلف جوانب الحياة ، أما المغالاة والتبذير والإفراط فكانت من الأفعال المكروهة فيه .

وقد بدا هذا واضحاً في تناول الطعام ، حيث يقول الحكيم" خيتي بن دواوف " في هذا الشأن :

" كن قنوعاً بطعامك ، وإذا كان يكفيك ثلاثة أرغفة ، وشرب قدحين من الجعة ، فإذا لم يكن بطنك قد اكتفى فحاربه " [29] .

يدعوا النص إلى الاعتدال في تناول الطعام ، وألا يزيد المرء عما يكفيه ، فإذا شعر بالاحتياج إلى المزيد فعليه أن يقاوم هذا الشعور، وأن يحارب بطنه ، لأن تناول كميات زائدة من الطعام يعتبر إفراطاً غير مستحب ، يؤدي إلى الإضرار بالصحة ، مما يسبب الأمراض ، ويعوق عن أداء العمل ، ويقلل النشاط ؛ لذلك دعا المجتمع الفرعوني إلى البعد عن النهم والشراهة في تناول الطعام ، وحض على التحلي بالقناعة أثناء الزيارة .

حيث تشير تعاليم " كاجمني " إلى هذا الأمر بما يلي :

" إذا جالست قوماً على مائدة طعام ، فتعفف عن الطعام ولو كنت تشتهيه ، فإنها برهة قصيرة تقهر الرغبة فيها ، فإنه من المخجل أن يكون الإنسان شرهاً ، وأن كوباً من الماء يروي غلة الظمأ ، وملء الفم من حشائش الأرض يقيم أود القلب ، ورب حسنة تقوم مقام الخير كله ، ونذر يسير يغني عن الكثير ، وما أتعس الرجل الذي يكون شرهاً (نهماً) من أجل بطنه " (30) ، *أما في بيته فتنسى معدته هذا الشعور* (31) ، *وإذا جلست (للأكل) مع شخص شره (نهم) فلا تأكل إلا بعد أن يفرغ من وجبته "* (32) .

ويقول الحكيم " آني " :

" لا تكن شرهاً في ملء بطنك " (33) .

ويقول " بتاح حتب " :

" ذلك الذي يطيع قلبه بطنه يضع ازدراء نفسه مكان حبه لها ، وذلك الذي يصير عبداً لبطنه يرضي عدوه (34) . *فإذا عزمت أن تحيا بالقناعة أتاك ما قدره الأرباب لك بأكمله "* (35) .

وينصح " خيتي بن دواوف " بالآتي :

" اكبح البطن غير الممتلئة ، وعندما ترى إنساناً يأكل (بنهم) تجنبه ، واحذر أن تسرع إلى المائدة " (36) .

دعت النصوص إلى التعفف ، وعدم تناول الطعام بشراهة ، وعدم إظهار الرغبة الشديدة في طلبه ، خاصة إذا كان الإنسان جالساً مع جماعة على مائدة واحدة ، لأن هذا الأمر من الأفعال المخجلة التي تؤدي إلى عدم مقدرة الإنسان على التحكم في غرائزه ، فيصير تعساً ،

ويعطي الفرصة لعدوه للتعرف على نقاط ضعفه فيمكنه الانتصار عليه من خلالها .
هذا و لم يقتصر الأمر على ذلك ، بل حث المجتمع المصري ـــــ أيضاً ـــ على التزام الإنسان بالأكل من الإناء الموجود أمامه مكتفياً بما فيه من طعام ، وعدم النظر إلى الأوعية الموجودة أمام الآخرين ، فقد ورد في نصائح الحكيم " بتاح حتب " ما يلي :

" إذا دعيت إلى مائدة عظيم من العظماء فخذ إذا أعطاك مما هو موجود أمامك ، ولا تنظر إلى ما وضع أمام غيرك ، بل انظر إلى ما هو أمامك أنت ، ولا تضايقه بكثرة النظر إليه ، لأن النفس تشمئز من ذلك ، غض من بصرك حتى يحييك ، ولا تتكلم إلا إذا حياك ، واضحك حينما يضحك ، وقل ما هو مقبولاً (لطيفاً) لديه ، فإن ذلك يسعد قلبه " (37) .

ويقول " أمنموبي " :
" انظر إلى الوعاء الذي أمامك ، واجعله يكفي حاجتك (وكن مكتفياً بما فيه) " (38)
وينصح " آني " بقوله : *" كن وقوراً حين تتناول طعامك "* (39) .
يتضح من هذه النصوص أن السلوك الصحيح لتناول الطعام أثناء الزيارة هو عدم النظر باستمرار إلى الطعام الموضوع أمام الغير ، لأن ذلك يضايقه ، ويثير الاشمئزاز في نفسه ، كما حثت النصوص على الالتزام بالصمت أثناء تناول الطعام ، وإذا تكلم فليقل خيراً أو ليصمت ، أما إذا قام رب البيت بتحيته أو الترحيب به ومحادثته ففي هذه اللحظة يقوم الزائر بالرد بكلام لطيف طيب يفرح ويريح قلب صاحب المنزل .
وبذلك فإن المجاملة لها قواعدها ، وهي جزء من السلوك الواجب التمسك به ، سواء دعيت في مأدبة أو مناقشة ، ففي كل مناسبة ينبغي على المرء أن يتصرف بطريقة مهذبة ، فإذا تصرف بهذه الكيفية ، فإن ذلك سوف يجلب له السعادة ، ويسر منه ذلك الذي دعاه (40) .

كما حث المجتمع ـــ أيضاً ـــ على عدم نقد الطعام أثناء الزيارة ، ويصف من يقوم

بهذه الأفعال بالأحمق ، حيث يشير إلى ذلك الحكيم " بتاح حتب " بما يلي :" *الأحمق هو الذي ينتقد الطعام* " (41) .

ثامناً- آداب الضيافة

حث المصريون خلال العصور الفرعونية على الكرم وحسن الضيافة ، والبعد عن البخل والشح ، فقد حملت النصوص والآثار العديد من هذه المعاني منها:

حكمة " بتاح حتب "التي تسود روح الشفقة والكرم ، حيث لم يجعلها تنحصر في أسرته ، بل جعلها تمتد إلى من حوله من الضيوف وغيرهم ؛ ولذلك أمر ابنه بأن يقابلهم بوجه مليء بالسرور ، حيث يقول :

" *كن سمح (طلق) الوجه ما دمت حياً* " (42) .

وهناك العديد من النصوص التي تدعو وتحث على الكرم منها :

قول " بتاح حتب " لابنه وهو يعظه بألا يخضع لمطالب بدنه ، وأن يكرم نفسه ، ويكرم من حوله :

" *كن كريماً ما دمت حياً* " (43) .

" *اشبع أصدقاءك بما أفاء الرب عليك من خير وحظوة ، فالحكمة تقضي بذلك* " (44)

ويمدح الكاتب " نمبار نخت "ـــــ من عصر الأسرة العشرين (45) ـــــ أستاذه قائلاً :

" *أنت رائع لشعبك ، طعامك الوافر سخي مثل حعبي (النيل) ، أنت كريم في الطعام تعرف كيف تقدمه إلى الذين تحبهم مثل موجة البحر* " (46) .

ومن مظاهر الكرم ـــــ أيضاً ـــــ حث المجتمع المصري على دعوة الجيران واستضافتهم في المناسبات ، واعتبر هذا الأمر شيئاً ضرورياً ، لأن الجيران هم أول من سيقفون مع جيرانهم وقت الشدائد ، وأول من سيحزنون على موت جيرانهم ، وأول من سيقفون مع أهل الميت أثناء عملية الدفن ، دل على ذلك ما ورد في نقش جاء على أوستراكا(47) يرجع تاريخها إلى الأسرة العشرين ، حيث ذُكر عليها ما يلي :

" لا ينبغي أن تقيم احتفالاً بدون أن تدعو جيرانك لأنهم سيلتفون حولك يوم دفنك " (48) .

يتضح من ذلك حرص المصريين القدماء على حسن الضيافة ، التي تتمثل في مقابلة الضيف بوجه سمح ، وحثهم على الكرم بصفة دائمة ، فمن يملك الطعام لا يخفي وجهه عن الناس حتى لا يستضيفهم ويقوم بإطعامهم ، ففي ذلك دعوة لنبذ البخل ؛ لأنه من السلوك القبيح الذي يؤدي إلى إفساد العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع .

ولقد كان من دواعي سرور المصريين أن يجمعوا عدداً كبيراً من الأقارب والأصدقاء حول الموائد ؛ لتناول طعام الغداء أو العشاء ، دل على ذلك العديد من المناظر التي يمكن من خلالها ، ومن خلال بعض النصوص والقصص الأدبية تكوين صورة عن مأدبة أقيمت لأصدقاء في بيت رجل كريم [49] تبين لنا كيفية معاملة الضيف .

فعندما تكون هناك زيارة لشخص ما أو أكثر فيها دعوة لتناول الطعام كان يسبق حضور الضيوف حركة كبيرة في كافة أرجاء البيت ؛ لتجهيز الطعام والشراب ، وتنظيف المنزل ، ثم يقوم رب البيت أو الأولاد والخدم باستقبال الزائرين ، وكانوا يلقون عليهم التحيات بالعديد من العبارات التي تحمل التمجيد والدعاء ، ويقوم الضيوف بالرد على من يحييهم من مضيفيهم بعبارات تحمل نفس المعنى [50].

وبعد الوصول إلى غرف الاستقبال كان الضيوف يجلسون على مقاعد لا مساند لها ، وكان منها نوعان : أكثرها بساطة تلك التي كانت أرجلها رأسية ، وأكثرها فخامة تلك التي كانت أرجلها متقاطعة على هيئة العلامة X ، وكانت الأرضية مفروشة بالحصر ، وعليها الكثير من الوسائد التي كانت توضع خلف ظهور الجالسين على المقاعد وتحت أقدامهم ، وإذا كان عدد الناس يزيد عن عدد المقاعد فيجلس آخر من يأتي أو أصغر الموجدين سناً على الوسائد ، أو حتى على الحصر [51] .

ثم يقوم رب المنزل بتقديم كل ما أعده الطباخون وصانعوا الحلوى للضيوف ، وكان يوجد منه ما يرضى كل الرغبات [52] ، حيث أن المائدة المصرية خلال العصر الفرعوني كانت تحتوي على العديد من أنواع الطعام ، وأنواع الصنف الواحد [53] . مما يدل على الكرم وحسن الضيافة التي عرف بها المصريون في ذلك الوقت .

وبذلك يمكن القول بأنه إذا كانت عادات وتقاليد المجتمع المصري القديم تحث الزائرين (

الضيوف) بأن يغضوا من أبصارهم ، ويتعففوا في طعامهم ، ويحدوا من كلامهم ، فإنه نصح من ناحية أخرى أصحاب المنازل بإشباع رغبات الضيوف بقدر المستطاع ؛ لكي ينال رب البيت عطف الآلهة ، وحسن السمعة والذكرى بين الناس .

يتضح من العرض السابق أن المصريين القدماء خلال العصر الفرعوني وضعوا للمجتمع قيم أخلاقية تبين للجماعة والفرد الأسس والآداب التي يجب اتباعها واحترامها أثناء زيارة البيوت مثل : عدم الدخول بغير إذن وموافقة صريحة من رب المنزل ، والبعد عن النظر إلى الأشياء المعيبة ، والالتزام بالصمت، والبعد عن الاختلاط بنساء البيت ، والمحافظة على أسرار البيوت ، والحرص على عدم إفشائها بالخارج ، والقناعة والبعد عن النهم والشراهة ، وعدم النظر إلى ما هو موجود أمام الغير أثناء تناول الطعام ، كما حث المجتمع ـــــ أيضاً ـــــ صاحب البيت على الكرم وحسن الضيافة ، والبعد عن البخل ، واختيار الأشخاص الذين يقوم باستضافتهم . كما تكشف هذه القيم الأخلاقية ـــــ أيضاً ـــــ عن المساوئ التي يجب البعد عنها ، فهي تحدد لكل فرد حقوقه وواجباته ، والسلوك الذي يجب أن يسير عليه ويلتزم به ، كما تكشف له عن واجباته نحو نفسه ، ونحو الأشخاص الذين يقومون بزيارته ، مما يدل على دعوة المصريين القدماء إلى الفضيلة والسلوك الصحيح ، والبعد عن الرزيلة . كما يدلل ـــــ أيضاً ـــــ على علو المثل الأخلاقية المصرية ، وحب الاحتشام والوقار ، وكيف استطاع المصريون في ذلك الوقت أن يرسموا نهجاً سلوكياً طيباً نابعاً من أصالة أخلاقية ضاربة في عروق هذا الشعب ، فقد كانت لتجاربه الكثيرة ، واحتكاكاته المباشرة بالمشاكل ، واهتمامه بالوازع الديني الأثر الكبير في رسم سلوك طيب لمن بعده ، يوجهه إلى طريق الصواب ، وينظم للناس علاقاتهم ببعضهم البعض ، ويحفظ حقوق الغير ، مما يؤدي إلى إسعاد المجتمع والارتقاء به ، وانتشار المودة والمحبة بين أفراده .

هذا و لم تكن أقوال الحكماء المصريين في ذلك الوقت أقوالاً عابرة في المجتمع ، أو حديثاً للشهرة ، فلم يكن الحكماء يعيشون في معزل عن الشعب ، وإنما كانوا ضميراً للأمة ، فعالجت أقوالهم صبغة المجتمع الغالبة ، وتقاليده السائدة ، وخصائصه البارزة ، وما ينبغي على المرء التخلق به في الظروف والمواقف المختلفة ، فضمنوها الأمثال والحكم النادرة

والخالدة التي تهدف إلى معالجة المساوئ والنكبات التي حلت بالمجتمعات ، فانتشرت بين الناس ، وأصبحت دستوراً للعلاقات الإنسانية ، والسلوك العام ، لأنها لم تكن أقل تأثيراً في نفوسهم عن الدين ، فنالت إعجابهم وقدروها حق قدرها ، ورأوا فيها ثروة تعيننهم على الوصول إلى المنزلة الرفيعة والدرجة السامية ؛ ولذا فمن يخرج عليها يفقد المصداقية والثقة والاحترام .

والواقع أن من يقرأ هذه النصائح والتعاليم يستطيع أن يحكم في ضوئها على أهداف الأدب المصري خلال العصر الفرعوني ، ويرى فيها ارتفاع مستوى الحياة المصرية ، وتقدير شعبها الأصيل لبناء القيم الإنسانية النبيلة

الهوامش:

(1) الحكيم " آني " : كان يعمل كاتباً في قصر الملكة " نفرتاري " زوجة الملك " أحمس الأول " (حوالي 1550 ـــــ 1525 ق . م) . عطية عامر ، الأدب الفرعوني ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1995 ، ص 196 .

واسم " آني " وابنه " خنسحتب " (خونسو حتب) من الأسماء التي كانت منتشرة في عصر الدولة الحديثة (الأسرة الثامنة عشرة حوالي 1550 ـــ 1295 ق . م) ، غير أن الكاتب " آني " نسب نفسه إلى عصر الملك " نفر كا رع تارى" أحد ملوك الأسرة الثامنة ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ما كان للأدب القديم خاصة أدب الأمثال والحكم من منزلة ، فكل ما كان قديماً له في نظر الناس روعته واحترامه ، كما هو معروف في الأدب العربي ، إلا أن اللغة التي كتبت بها هذه النصائح هي اللغة التي كانت سائدة في عصر الدولة الحديثة 0 سليم حسن ، مصر القديمة ، الجزء السابع عشر " الأدب المصري القديم " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2000م ، ص 219 0

والنسخة التي وصلت إلينا من هذه النصائح قام بنقلها تلميذ من الأسرة الثانية والعشرين ، و لم يفهم الكثير من محتوياتها ، فوقع في أخطاء عديدة في كتابة معظم كلماتها ؛ ولذلك جاءت جمل بأكملها مضطربة لا يمكن فهمها ، وبالتالي ترجمتها ، وهى محفوظة الآن في المتحف المصري بالقاهرة0

محرم كمال ، الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998م ، ص 87 0 وعن هذه التعاليم راجع :

Suys, E . S . J ., " La Sagesse d' Ani . Texte " . traduction et commentaire; *Orientalia* 11 (1935), pp . 15 - 19 ; Brunner , H ., Les Sagesse du Proch Orient- Ancien , Paris , 1963 , p . 105 .

(2) سليم حسن ، المرجع السابق ، ص 223 .

(3) " كاجمني " : عاش في عصر الأسرة الثالثة ، وقد وردت نسخة من تعاليمه مع تعاليم" بتاح حتب" في الصفحات الأولى من بردية اشتراها العالم الفرنسي " بريس " من أحد الفلاحين في الأقصر ، وأهداها إلى المكتبة الأهلية بباريس عام 1847م ، والمحفوظة بها حتى الآن ، وقد حُررت هذه البردية في عصر الأسرة الثانية عشرة ، ولكن كاتبها نسبها إلى عصر الدولة القديمة ، وبالرغم من أن هذه التعاليم كانت موجهة إلى الوزير " كاجمني " الذي عاش في عهد الملكين " حوني " و" سنفرو" من والده " كاارس " إلا أنها عرفت بتعاليم " كاجمني " ، وهي تعد من أقدم التعاليم والحكم التي وصلت إلينا حتى الآن 0 محرم كمال ، المرجع السابق ، ص ص 19 ، 48 ؛ رمضان عبده علي ، تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، دار نهضة الشرق ، القاهرة ، 2001 م ، ص 493 ؛ Jequier , G ., Le papyrus Prisse et ses variantes ,Paris , 1911 , p . 12 ; Lichtheim , M ., Ancient Egyptian Literature , The Old and Middle Kingdoms , Vol , 1 , Calfornia , 1973 , pp . 59 - 91 ; Bresciani , E ., Letteratura e poesia dell'antico Egitto , Torino , 1969 , p . 30 ; Simpson , W . K ., The Literature of Ancient Egypt , New Haven , 1972 , p . 17 .

(4) Lichtheim , op . cit ., p .30 .

(5) " أمنموبي " : هو أحد الحكماء الذين لم يتمتعوا بالمناصب الكبرى ؛ إذ كان يشغل وظيفة ناظر شونة الحبوب في أبيدوس ، وقد كُتبت حكمه الغالية إلى ابنه " حور ماخر" على هيئة وصايا ونصائح ؛ لتعلمه وترشده إلى سبل الحياة ، وتحقق له السعادة ، ولهذه الحكم شهرة كبيرة ، لأن علماء الآثار الذين قاموا بدراستها يعتقدون أنها أصل سفر الأمثال في التوراة . محمد عبد الحميد بسيوني ، آداب السلوك عند المصريين القدماء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1997 م ، ص ص 127 – 128 .

وقد وجدت هذه التعاليم مكتوبة على ورقة بردي محفوظة الآن في المتحف البريطاني ، وقد حصل عليها السير "ولس بدج " عام 1888 م ، ومعها ورقة أخرى تشتمل على جزء من كتاب الموتى ، وقد بقيت تعاليم " أمنموبي " في زوايا النسيان إلى أن بدأ علماء الآثار منذ عام 1922م بنشرها ، فقاموا بشرحها وترجمتها والتعليق عليها عدة مرات ، وقد اختلف علماء الآثار في تحديد تاريخ هذه الوثيقة ، غير أن أحدث الآراء يجعل عصرها ينحصر ما بين الأسرة الحادية والعشرين والثانية والعشرين . سليم حسن ، المرجع السابق ، ص ص231 – 232 ؛ محرم كمال ، المرجع السابق ، ص 107 .

(6) Peterson , B . J ., " A New Fragment of The Wisdom of Amenemope " , *JEA* 52 (1966) , p . 122 .

(7) Suys, op . cit ., p . 13 ; سليم حسن ، المرجع السابق ، 226 ؛ محرم كمال ، المرجع السابق ، ص 94 0

(8) رمضان عبده علي ، المرجع السابق ، ص 349 .

وقد ورد في القرآن الكريم ما يوافق هذا السلوك الحسن في الزيارة ، قال تعالى : *" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ "* سورة النور ، الآيات : 27 ، 28 ، 29 .

فهذه آداب أدب الله بها عباده ، حيث أمرهم بألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا ، أي يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده ، فإن أذن لهم دخلوا وإن لم يؤذن لهم انصرفوا · ابن كثير (الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي) ، تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثاني ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، د . ت . ص 287.

(9) عطية عامر ، المرجع السابق ، ص 292 .

(10) أدولف إرمان ، ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، محمد أنور شكري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1997 م ، ص 181 .

(11) " خيتي بن دواوف " : صاحب التعاليم التي ألفها لابنه " بيبي" عندما سافر إلى العاصمة ليلحق ابنه بمدرسة الكتب بين أولاد الحكام ، ويبدو من أسماء الأعلام الواردة في هذه التعاليم أن تاريخها يعود إلى العصر الممتد بين الدولة القديمة (حوالي 2686ـــ 2181) والدولة الوسطى (حوالي 2025ـــ 1795) ، أو إلى عهد الملوك الأوائل للأسرة الثانية عشرة ، وقد كانت هذه التعاليم منتشرة في مدارس الدولة الحديثة ، حيث اتخذها طلاب المدارس تمارين يتناقلونها خاصة في عصر الأسرة التاسعة عشرة (حوالي 1295ـــ 1186) 0 كما عثر على أجزاء منها مكتوبة

على قطع من اللخاف (الأوستراكا) ، ووجدت كاملة في برديتي ساليبه وأنساطى المحفوظتين بالمتحف البريطـــاني 0 محرم كمال ، المرجع السابق ، ص ص 58 ـــــ 59 ؛

Piankoff , A ., " Quelques Passages des Instructions de Douaf sur une tablette du Musée du Louvre" *RdE* 11 (1933) , pp . 51 - 74 .

(12) النابية : نبا الشيء ـــــ نبواً ، ونبوة : أي لم يستوِ في مكانه المناسب له ، ويقال : كلمة نابية : أي خارجة عن الحد اللائق مجافية للذوق . مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، وزارة التربية والتعليم ، 2002 م ، ص 601 .

(13) محرم كمال ، المرجع السابق ، ص 64 .

(14) عطية عامر ، المرجع السابق ، ص 315 .

(15) " بتاح حتب " : عاش في عهد الملك " جد كا رع " (اسيسى) أحد ملوك الأسرة الخامسة من عصر الدولة القديمة ، وكان يشغل منصباً مرموقاً (ربما كان وزيراً له) ، وهو صاحب التعاليم ذائعة الصيت التي عُثر عليها مكتوبة على ورق البردي كاملة لا ينقص منها شئ ؛ ولذلك تعد أقدم كتاب كامل في الأدب وصل إلينا حتى الآن .

سمير أديب ، المرجع السابق ، ص 227 ؛ محرم كمال ، المرجع السابق ، ص 23 .

Lichtheim , op . cit ., p . 62 .

(16) Zaba , Z ., Les maximes de Ptahhotep, Prague , 1956, p. 5 ; فرانســوا دومـــا ، حضارة مصر الفرعونية ، ترجمة ماهر جويجاتي ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1998 م ، ص 537 ؛ سوزان عباس عبد اللطيف ، المرأة في الشرق القديم ، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية (التاريخ القديم) ، المجلـــد الرابـــع " ملامح مـــــن حضارات بلاد الشام والجزيرة العربية " ، دار الفكر الـــــعربي ، القـــاهرة ، 2008 م ، ص 16 ؛ محمد بيومي مهران ، الحضارة المصرية القديمة ، الجزء الأول ، " الآداب والعلوم " ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1989 م ، ص 241 ؛ سليم حسن ، المرجع السابق ، ص 183 ؛ محرم كمال ، المرجع السابق ، ص 35 .

(17) المقصود بهذا المعنى أن الأعضاء الوضاءة تجتذب الرجال وتفتنهم ، إلا أنها بعد اللذة القصيرة التي تمضي كلمح البصـــر تبدو وقد تغير لونها مثل حجر " هرست " الذي يعد رمزاً للكرب والضيق والبلاء . محرم كمال ، المرجع الســـابق ، ص 36 هامش (6) .

ويرى " سليم حسن " أن المقصود تصير بعد ذلك مثل حجر هرست ؛ أي تصبح شيئاً تافهاً مثل الحلم . ســـليم حســـن ، المرجع السابق ، ص 183 .

(18) محرم كمال ، المرجع السابق ، ص 36 ؛ سليم حسن ، المرجع السابق ، ص 183 ، عطية عامر ، المرجع الســـابق ، ص 135 ؛ عبد العزيز صالح ، الأسرة المصرية في عصورها القديمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1988 م ، ص 27.

(19) عطية عامر ، المرجع السابق ، ص 236 .

(20) بيير مونتيه ، الحياة اليومية في مصر في عصر الرعامسة ، ترجمة عزيز مرقص منصور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1997 م ، ص ص 29 ، 36 ؛ مرجريت مري ، مصر ومجدها الغابر ، ترجمة محرم كمـــال ، مراجعـــة نجيـــب ميخائيل إبراهيم ، الطبعة الثالثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998 م ، ص 110 ؛ محمد بيـــومي مهـــران ،

الحضارة المصرية القديمة ، الجزء الثاني " الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية والقضائية والدينية " ، الطبعة الرابعة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1989 م ، ص ص 79 – 80 .

(21) مرجريت مري ، المرجع السابق ، ص 110 ؛ فوزي مكاوي ، الناس في مصر القديمة ، المجلس الأعلى للآثار ، د.ن ، د. ت ، ص ص 75 ، 76 ، 78 .

(22) ؛ عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص 39 ؛ سير و. م فلندرز بتري ، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ، ترجمة حسن محمد جوهر ، عبد المنعم عبد الحليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975 م ، ص 191 .

(23) Lichtheim ,M., Ancient Egyptian Literature , The New Kingdom , Vol , 11 , Calfornia , 1975 , pp . 136 – 137 ; Suys, op . cit ., p . 29 . سليم حسن ، المرجع السابق ، ص 221 ؛ محرم كمال ، المرج السابق ، ص 89 .

(24) أدولف إرمان ، المرجع السابق ، ص 181 .

(25) عطية عامر ، المرجع السابق ، ص 315 .

(26)" تحوت " : تصحيف يوناني للاسم المصري القديم " جحوتي " ، قارنه اليونانيون بالإله " هرمس " رسول الآلهة ، وهو إله محلي كان يعبد في مدينة " خمنو " التي أسماها اليونانيون باسم " هرموبوليس ماجنا " (الأشمونين حالياً) ، كما كان يُعبد ـــ أيضاً ـــ في مدينة " بادمي ـــ إن ـــ حور " ، والتي أطلق عليها اليونان اسم : هرموبوليس بارفا (دمنهور حالياً) ، تم تصويره على هيئة طائر أبي منجل ، وقد كان مرتبطاً بالقمر ، ثم أصبح إله الحساب والعلم والآداب ، وهو خالق الكون، ومنفذ العناية الإلهية ، ويبقي على ما خلقه ويحافظ عليه بفضل ماعت (العدالة) ، وهو راعي الكتبة والمثقفين الذين خصوه بصلواتهم . فرانسوا دوما،المرجع السابق ، ص 724 ؛ عبد الحليم نور الدين ، اللغة المصرية القديمة (العصر الوسيط) ، الطبعة السابعة ، 2007 م ، ص ص 293 ، 311 ـــ 312.

(27) محرم كمال ، المرجع السابق ، ص 123 ؛ سليم حسن ، المرجع السابق ، ص ص 257 – 258 .

(28) المرجع السابق ، ص 117 .

(29) المرجع السابق ، ص 215 ؛ محرم كمال المرجع السابق ، ص 64 .

(30) Simpson , W .K., The Literature of Ancient Egypt , An Anthology of Stories , Instructions , Stelae , Autobiographies , and Poetry , London, 2003 , p 150 ; Gardiner , A , " The Instruction Addressed to Kagemni and His Brthren " , *JEA* 32 (1946) , p . 73 ; رمضان عبده على , المرجع السابق , ص 494 ؛ محرم كمال ، المرجع السابق ، ص ص 48 – 49 ؛ محمد عبد الحميد بسيوني ، المرجع السابق ، ص 16 ؛ سليم حسن ، المرجع السابق ، ص 188 .

(31) عطية عامر ، المرجع السابق ، 124 .

(32) محرم كمال ، المرجع السابق ، 49 ؛ رمضان عبده علي ، المرجع السابق ، ص 494 ؛ سليم حسن ، المرجع السابق ، ص 188 .

(33) Suys , Op . cit ., p . 79 ; Lichtheim , op . cit ., p . 142 ; محرم كمال ، المرجع السابق ، ص 94 ؛ سليم حسن ، المرجع السابق ، ص 226 .

(34) عطية عامر ، المرجع السابق ، ص 134 .

(35) عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها ، الجزء الأول " في الاتجاهات الحضارية العامة حتى أواخر الألف الثالث ق. م " ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1992 م ، ص 378 .

(36) عطية عامر ، ص 315 ، 316 .

(37) Selva , A . C ., The Status of free will in Ancient Egypt's Old Kingdom and Middle Old Kingdom according to The instruction of Ptahhotep , Mastrado em Historia antiga (Egyptologia). Unvirsitait Lieden, 2012 , p 54 ; Wilson , J ., " The instructions the Vizier Ptah - Hotep ", *ANET* (1969) , p . 412 ; Zaba , op . cit ., pp . 25 - 26 .

محرم كمال ، المرجع السابق ، ص 31 ؛ جون ولسون ، الحضارة المصرية ، ترجمة أحمد فخري ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د . ت ، ص 172 .

(38) جيمس هنري برستيد ، فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1999 م ، ص 403 ؛ سليم حسن ، المرجع السابق ، ص 257 .

(39) أدولف إرمان ، المرجع السابق ، ص 181 .

(40) محمد علي سعد الله ، تطور المثل العليا في مصر القديمة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1989 م ، ص 88 .

(41) عطية عامر ، المرجع السابق ، ص 131 .

(42) سليم حسن ، المرجع السابق ، ص 184 ؛ عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، 377 .

(43) عطية عامر ، المرجع السابق ، ص 141 .

(44) محرم كمال ، المرجع السابق ، ص 38 .

(45) عطية عامر ، المرجع السابق ، ص 318 هامش (1) .

(46) المرجع السابق ، ص ص 327 ، 328 .

(47) أوستراكا : كلمة يونانية الأصل بمعنى قطعة مكسورة ، ويقصد بها علماء الآثار في كتاباتهم : قطعة مكسورة من إناء فخاري ، أو أي شظفة من الحجر . سمير أديب ، موسوعة الحضارة المصرية القديمة ، الطبعة الأولى ، دار العربي ، القاهرة ، 2000 م ، ص 213 .

(48) Hagen , F ., " The Prohibitions : A New King dom Didactic Text " *JEA* 91 (2005) , pp . 136 , 149 ; Cerny , J ., & Cardiner , A ., Hieratic ostraca , Vol , 1 , Oxford , 1957 , pl , 1 ;

يان اسمان ، ماعت مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية ، ترجمة زكية طبوزادة ، علية شريف ، الطبعة الأولى ، دار الفكر للدراسات والنشر ، القاهرة ، 1996 م ، ص 57 .

(49) بيير مونتيه ، المرجع السابق ، ص ص 123 ، 124 .

(50) المرجع السابق ، ص ص 124 ، 125 .
(51) المرجع السابق ، ص 36 .
(52) المرجع السابق ، ص 125 .
(53) فوزي مكاوي ، المرجع السابق ، ص 78 .

لاختصارات

ANET : Pritchard , J. B., Ancient Near Eastern Texts Relating to The Old Testament Third Edition With Supplement Princeton University Press, (1969) .

JAE : Journal of Ancient Egypt ,San Francisco, California.

Orientalia : Orientalia . Comment . Periodici Pontif . Inst . bibici (Rome) .

RdE : Revue d'égyptologie , Paris, Louvain.